

قدر الدكتور العكرة لا يُرد

الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

سيقترب حكام الطائف اليوم (٢٠٠٣/٦/١٩) جريمة جديدة بحق حرية الرأي والتعبير، تختلف عن باقي الجرائم البشعة التي ميزت ممارساتهم منذ سنة ١٩٩٠. الجريمة الموصوفة هذه ستطال كل لبناني تعز عليه كرامته، يتمسك بكافة حقوقه، ويريد أن يعبر عن أحاسيسه وأفكاره دون خوف وقهر في أي وقت يشاء، وأي مكان يختار، طالما أنه لا يعتدي على حرية الغير ويلتزم بالقوانين المرعية الشأن.

محاكمة الدكتور أدونيس العكرة سوف تبدأ اليوم أمام محكمة المطبوعات بتهم الإساءة للسلطات السياسية والقضاء. تدعي الدولة أن التهم هذه قد وردت في كتابه الأخير "عندما صار اسمي رقم ١٦". الكتاب الذي منعت توزيعه وصادرت كل نسخه التي تمكنت من وضع اليد عليها. ومع الدكتور العكرة سوف تتم أيضاً محاكمة الدكتور بشير الداعوق صاحب المؤسسة التي طبعت الكتاب وكان من المفترض أن تتولى عملية توزيعه.

إن المحاكمة، وطبقاً لكافة المعايير القضائية والأخلاقية تعتبر تعدياً سافراً وصارخاً بوقاحتته، ليس فقط على فكر وحقوق وثقافة وموقع الدكتور العكرة العلمي، ولكن أيضاً انتهاكاً فاضحاً لحرية الرأي في لبنان ككل، وتعدياً على حقوق كل اللبنانيين بكافة مناطقهم وشرائحهم. إنها محاكمة لكل القيم والأعراف القلمية والأخلاقية اللبنانية التي ميزت لبنان الحريات والفكر والثقافة والديموقراطية عن باقي الصحارى الفكرية القاحلة المنتشرة في دول الجوار.

جريمة الدكتور العكرة تكمن في إنه إنسان حر، يعتز بتخصصه كأستاذ جامعي وباحث ومفكر وكاتب. جريمته أنه يسخر تخصصه وثقافته لخدمة القضايا الوطنية والإنسانية والقيمية. جريمته أنه حر الرأي، عالٍ الرأس والجبين، لا تتحني قامته الشامخة للظلم والظالمين ولا يستسلم لليأس. جريمته أنه يجل ويحترم الرسالة العلمية المقدسة التي نذر حياته من أجلها، رسالة الشهادة للحق والدفاع عنه.

قلم الدكتور العكرة هو بندقيته، صوته الصارخ بوجه العشارين والكتبة والفريسيين والحكام الظالمين هو مدفعه، ذخيرته هي علمه وموقعه الأكاديمي. قوته يستمدتها من قوة الحق الذي كرس نفسه للدفاع عنه. عناده لبناني صخري، إيمانه صلب لا يتزحزح، شجاعته فروسية لا تهاب الصعاب والحواجز، ورجاؤه قيامة لبنان من قبر الاحتلال والعبودية.

إن محاكمة الدكتور العكرة والدكتور حمدان ستكون بإذن الله محاكمة للنظام المفروض على لبنان بقوة سلاح الغريب، ومحاكمة لهذا الغريب المحتل الذي يدعي أخوتنا على طريقة أخوة

قايين. ستكون محاكمة لكل الحكام المحكومين والسياسيين المأجورين، لكل قيادي وفرد لبناني ساكت على الظلم وراضٍ بالمذلة، و"مطنش" لا يسمع ولا يرى. ستكون محاكمة لكل لبناني يوضاسي باع ضميره بثلاثين من الفضة وسلم وطنه وأهله للجلادين.

إنه لشرف كبير للدكتور العكره أن يُحاكم على محتوى كتابه " عندما صار إسمي ١٦ ". هذا الكتاب الذي أراده شهادة مدوية للحقيقة، دون فيها للتاريخ انتهاكات ومخالفات وتعديلات لا أخلاقية فظيعة ارتكبتها جماعة نظام الطائف بحقه شخصياً خلال فترة الـ ٢٥ يوماً من اعتقاله الاعتباطي. وهي أيضاً شهادة حق لما تعرضت له نخبة من أحرار لبنان من ظلم وجور مع خلال اعتقال أفرادها. نخبة آلت على نفسها حمل مشعل السيادة والاستقلال والحرية، فسُجنت وتعرضت لنفس التجارب المعيبة والمذلة التي تعرض لها الدكتور العكرة، من إهانات وتحقيقات لا إنسانية، وفبركة تهم ورعب وتعدٍ على الحقوق.

سيدنا يسوع المسيح نفسه حُكم عليه وظُلم ولفقت له التهم. عذب، وأُهين وحملوه الصليب الذي صلبوه عليه. الحاكم الروماني بيبلاطس البنطي عرف أن المسيح بريء، ولكنه لم يمتلك الشجاعة الكافية، ولا الإيمان القوي للدفاع عن الحق. لذلك رضخ لمشينة الظلمة وغسل يديه من دم المسيح. والتاريخ يعج بمحاكمات باطلة لقديسين وبررة وأبطال ومفكرين وعباقره مثل سقراط وغيره الكثير، جميعهم انصفهم التاريخ وأدان الذين ظلموهم.

تُجسد معاناة الدكتور العكره معاناة كل اللبنانيين المقاومين للسياديين. هو ضميرنا، وعضواننا، وصرختنا المدوية بوجه الظلم. هو عنادنا، وجداننا. هو نحن، ونحن هو، ومحاكمته، محاكمة لنا كلنا دون استثناء. لذلك دعونا نتحمل مسؤولياتنا الوطنية ونقف وقفة شجاعة وكبرياء متخذين من سمعان القيرواني مثلاً لنا في تعاطينا مع هذه المحاكمة. دعونا كالقيرواني نتحسس وجع الدكتور العكره ونعيّنه على حمل صليبه، الذي هو بالواقع صليبنا نحن. لا نريد أن نتشبه بيبلاطس البنطي الذي تجابن وهرب من مسؤولياته، بل بالقيرواني الشجاع.

إن رسالة الدكتور العكرة هي تعليم الحرف الذي انطلق من شواطئنا. وفي البدء كان الكلمة التي تقدست وتجسدت.

الدكتور العكرة وامثاله هم من النخبة في وطننا. هم العنقوان والأمل والرجاء. هم ضمير أمتنا، والضمير قدرٌ لا يُرد. وقدّر الدكتور العكره أن يواجه بقلمه نيابة عن أحرار لبنان ظلم الظالمين وكفر الكافرين وهرطقة المهرطقين.

النصر في النهاية سيكون بإذن الله للدكتور العكرة، ولرسالة الحق التي يحمل مشعلها ويرفع رايتها.